عندما يتبارى حكمتيار و طالبان في إعلان مواصلة (الجهاد) !!!

2-1

وسط تزايد الجدل حول تصاعد حدة العمليات العسكرية المتبادلة بين قوات حلف الناتو والقوات الأفغانية من جهة ، وقوات حركة (طالبان) من جهة أخرى تداولت وسائل الاعلام مؤخراً تصريحات مثيرة لأمير الحرب قلب الدين حكمتيار دعا فيها حركة (طالبان) إلى الانضمام للحزب الإسلامي الذي سبق لقوات طالبان أن طردته من مناطق كان يديرها في فترة الحرب الطاحنة بين جماعات المجاهدين التي تناحرت على السلطة بعد انسحاب الجيش السوفييتي وسقوط نظام الرئيس الأفغاني السابق نجيب الله ، وما ترتب على ذلك من حرب شرسة بين فصائل المجاهدين التي عاثت في أفغانستان فسادا وأغرقتها بالدماء والخراب والدمار .

أحمد الحبيشي

الثابت أن الحرب الأهلية الطاحنة بين فصائل الجهاد الإسلامي في أفغانستان كانت سبباً في ظهور نظام طالبان الذي أقام في أفغانستان نظاماً قمعياً إستبدادياً لم يحظ بإعتراف المجتمع الدولي والعالم الاسلامي ، وجعل من الأراضي الأفغانية مرتعاً لتنظيم (القاعدة) الإرهابي الدولي ، وملاذاً آمناً للإرهاب والارهابيين من كل أنحاء العالم ، مروراً بتوريط الأراضي الأفغانية في التخطيط لتفجيرات نيروبي ودار السلام عام ١٩٩٩ ، وتدمير البارجة الأميركية كول في ميناء عدن عام ٢٠٠٠ ، وأحداث ١١ سبتمبر في واشنطن ونيويورك عام ٢٠٠١ ، وصولا الى تعريض أفغانستان لحرب شاملة شنتها القوات الأميركية والبريطانية تحت غطاء دولي، بالتعاون مع قوات ما كان يسمى (تحالف الشمال) الذي أسسه المجاهد الأفغاني أحمد شاه مسعود لمقاومة حركة طالبان وتنظيم القاعد أثناء سيطرتهما على الحكم في أفغانستان.

من نافل القول أن وسائل الإعلام العالمية سلطت الضوء على تحالف "الشمال" ومساهمته في العمليات القتالية المسلحة إلى جانب القوات الأمريكية والبريطانية أثناء وقوع الحرب على أفغانستان في خريف عام ٢٠٠١ ضد نظام طالبان "الذي اتهمته الولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى بإيواء الإرهاب.

من جانبها قاتلت حركة «طالبان» دفاعاً عن نظام دموي قدّم صورة مشوّهة للإسلام، ولم يحصل على أي إعتراف من المجتمع الدولي والعالم الإسلامي باستثناء باكستان ، حيث قدمت حركة «طالبان» نفسها في تلك الحرب كمدافع عن الإمارة الإسلامية الوحيدة في العالم بقيادة «أمير المؤمنين» الملا محمد عمر، والتي وصفها المولوي جلال الدين حقاني وزير هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيئة الصيت ، بأنها ـ أي إمارة طالبان ـ كانت بمثابة ((النواة الأولى للخلافة الإسلامية)) التي أوقف الصليبيون والعلمانيون العمل بها قبل خمسة وثمانين عاما ، بحسب قوله في حديث أجراه معه تيسير علوني عبر قناة (الجزيرة) أثناء الحرب؟!!

على الصعيد نفسه أعلن أمير الحرب قلب الدين حكمتيار من منفاه في طهران آنذاك انحيازه إلى جانب قوات "طالبان" التي سبق أن أخرجته من أفغانستان بعد وصولها إلى السلطة وقيامه ببسط نفوذها في معظم أراضي أفغانستان عام ١٩٩٦م.. ولم يتردد حكمتيار ـ كعادته دائما ـ عن إضفاء طابع القداسة الدينية على المعارك التي يخوضها، حيث وصف انحيازه الى جانب (طالبان) بأنّه جهاد مقدّس في سبيل الله.

ثمة من وصف موقف حكمتيار ـ آنذاك ـ بالوطنية، وبالغ في القول إنه المعارض الوحيد الذي اثبت أنه «وطني أفغاني» في مواجهة "العدوان الأمريكي ، على غرار ما جاء في التحية الشهيرة التي وجهها الأخ خالد سلمان رئيس تحرير صحيفة (الثوري) لسان حال الحزب الاشتراكي الى حكمتيار في ذروة تلك الحرب قبل سقوط نظام (طالبان) !!، لكن طرحا كهذا إذا صدقناه في ذلك الحين، سوف يجبرنا على إلغاء عقولنا وان نكون سذجا في السياسة . وقد كتبت أثناء الحرب على نظام (طالبان) مقالاً انتقدت فيه الموقف اليساري الطفولي لصحيفة (الثوري) من التحالف الذي أقامه (حكمتيار) مع (طالبان) خلال تلك الحرب ، مشيراً الى أن المنطق اليساري الطفولي لصحيفة الحزب الاشتراكي من شأنه أن يقود الى اتهام قوات وقيادات تحالف الشمال بالخيانة الوطنية.. بل أنّ الأمر سيمتد الى أبعد من ذلك بتوجيه الاتهام نفسه إلى قادة الدول العربية والإسلامية بخيانة مبادئهم، خصوصا وأن معظم القادة العرب والمسلمين أعلنوا مباركتهم وموافقتهم وتفهمهم لتلك الحرب.. فيما اكتفى بعضهم بمناشدة القوات الأمريكية توخي الدقة في التمييز بين الأهداف العسكرية والأهداف المدنية، والإسراع في تنفيذ أهداف تلك الحرب خلال فترة قصيرة؟!!

باسم الاسلام يتآمرون على بعضهم

تشير وقائع سيرة المجاهدين الأفغان ضد الغزو السوفيتي الى أنّ حكمتيار كان واحدا من أبرز أمراء الحرب الأفغانية الذين يتحكم طموحهم للسلطة وحبهم للتسلط بمواقفهم السياسية ناهيك عن أنه واحد من أخطر تجار المخدرات في العالم، وأكبر ملاك مصانع الهيروين في أفغانستان قبل سقوطها تحت سيطرة قوات حركة (طالبان) وهروب حكمتيار الى طهران ؟!!

وفي مذكراته القيمة التي نشرها المهندس عبدالله آنس أحد قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، الذي شارك مع المجاهدين الأفغان في القتال ضد السوفييت، أوضح العديد من خفايا وأسرار الصراعات والانقسامات الداخلية التي استشرت بين فصائل المجاهدين بسبب نزوع بعضهم ـ وفي مقدمتهم حكمتيار ـ للاستبداد والتسلط ، وطموح كل واحد منهم لأن يكون الآمر الوحيد في القيادة بدون منازع!!

روى عبدالله آنس ـ الذي كان مرافقاً لأحمد شاه مسعود في المناطق الشمالية التي كان يقاتل فيها الاحتلال السوفيتي ـ أنّ أنصار حكمتيار أوعزوا لبعض المجاهدين العرب بأن يكتبو تقريراً للشيخ عبدالله عزام يتهمون فيه أحمد شاه مسعود بالعمالة للسوفييت وخيانة المجاهدين العرب الذين قتلوا في المعارك على أيدي القوات السوفيتية، بالإضافة إلى السماح للفتيات الأفغانيات والأجنبيات بالسباحة ـ وهنّ شبه عاريات ـ داخل المناطق الشيعية التي يسيطر عليها في وادي بانشير!!

كان التقرير يستهدف تحطيم صورة وسمعة أحمد شاه مسعود الذي لمع اسمه كمقاتل شجاع استحق بجدارة لقب "أسد بانشير" ، وتحريض الدول العربية على إيقاف الدعم العسكري والمالي عنه، بالنظر الى العَلاقة الوثيقة التي كانت تربط الشيخ عبدالله عزام بدول الخليج.. ولما عرض الشيخ عزام هذا التقرير على عبدالله آنس نفاه بشدة، واستدعى الذين كتبوا التقرير واستحلفهم بالله على المصحف الشريف أن يقولوا الحقيقة التي شاهدوها بعيونهم أثناء جهادهم تحت قيادة مسعود.. فانهاروا.. وألمحوا إلى أن أشخاصاً نافذين في الحزب الإسلامي الذي يقوده حكمتيار هم الذين ضغطوا عليهم وأجبروهم على كتابة هذا التقرير!!

في هذه المذكرات أيضاً نشر عبدالله آنس ترجمة باللغة العربية لوثيقة النص الكامل للاتصال اللاسلكي الذي تم بين القائد الراحل أحمد شاه مسعود وحكمتيار قبل سقوط العاصمة الأفغانية « كابول » في أيدي المجاهدين عام ١٩٩٢م.. ومن وقائع هذا الاتصال يستطيع المحلل المحايد أن يتعرف على طبيعة شخصية حكمتيار، والدوافع الحقيقية التي تتحكم في تصرفاته ومواقفه.

قبل أن نتناول بالتحليل مضمون ذلك الاتصال اللاسلكي الخطير ـ الذي سنعرضه في الجزء الثاني من هذا المقال ـ ينبغي التعريج قليلاً على شخصية أخرى لعبت دوراً مهماً في مسار الأحداث التي شهدتها أفغانستان منذ وصول المجاهدين إلى السلطة، كما لعبت هذه الشخصية دوراً مهماً آخر في المسار اللاحق للأحداث التي شهدتها أفغانستان .

هذه الشخصية هي القائد الشيوعي الأوزبكي الجنرال عبدالرشيد دوستم الذي كان مسؤولاً عن جهاز الاستخبارات الأفغانية وقائداً للقوات الخاصة، والمنسق العام للعمليات الحربية بين الجيش الأفغاني والقوات السوفيتية، خلال فترة الوجود العسكري السوفيتي وحتى عام ١٩٩٢م ، عندما قام بحركة انقلابية ضد الرئيس السابق نجيب الله ، وأحبط محاولة لهروبه بعد ان استولى على المطار، ومنع الأخير من الوصول الى الطائرة التي كانت تنتظره، الأمر الذي أجبر نجيب الله على اللجوء الى مقر الأمم المتحدة في كابول، حيث عاش فيه لمدة أربع سنوات، حتى اقتحمت قوات "طالبان" المقر عند دخولها كابول عام ١٩٩٦م وألقت القبض على نجيب الله وشقيقه وأعدمتهما رميا بالرصاص.

كانت حكومة نجيب الله مطالبة بالدخول مع المجاهدين في مفاوضات استهدفت تحقيق السلام والمصالحة في أفغانستان تحت رعاية الأمم المتحدة تنفيذاً لوثيقة "مينسك" التي وقع عليها كل من وزير الخارجية السوفيتي إدوارد شيفارد نادزه، ووزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر عام ١٩٩٠م، احيث تضمنت تلك الوثيقة نصوصا واضحة ومحددة قضت بأن يلتزم الطرفان بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأفغانستان، وترك مستقبل هذا البلد للأطراف المتنازعة ممثلة بالحكومة الأفغانية من جهة ، وفصائل المجاهدين المسلحة من جهة أخرى ، على أن تتولى الأمم المتحدة رعاية المفاوضات بين الأطراف المعنية.

منذ ذلك الحين انتقل الملف الأفغاني من أيدي اللاعبين الكبار إلى أصحابه الحقيقيين في داخل أفغانستان .. ومع انتقال هذا الملف إلى طرفي النزاع الرئيسيين برزت تناقضات خطيرة وجديدة داخل كل طرف على حدة.. وظهرت أدوار جديدة للعديد من رموّز الطرفين ، غير أن مسار التطورات التي شهدتها أفغانستان منذ عام ١٩٩٢م وحتى وقوع الحرب على نظام (طالبان) وقواعد في تنظيم (القاعدة) في أفغانستان عام ٢٠٠١ أشار بوضوح الى شخصيتين بارزتين لا يمكن قراءة المشهد الأفغاني بكل ما انطوى عليه من أحداث درامية ومأساوية بدون التوقف أمامهما وهما الجنرال عبدالرشيد دوستم والشيخ قلب الدين حكمتيار.

في عام ١٩٨٩م انسحبت القوات السوفيتية من أفغانستان بقرار من طرف واحد اتخذه المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي في إطار سياسة البيرويسترويكا التي قادها الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل غورباتشوف.

حاولت القيادة السوفيتية بعد انسحابها من أفغانستان إقناع الرئيس نجيب الله بإجراء إصلاحات سياسية داخلية تمهد الطريق لتحقيق المصالحة والسلام في أفغانستان، خصوصا وأنّ القيادة الشيوعية الأفغانية كانت ـ شأنها في ذلك شأن فصائل المجاهدين المسلحة ـ تُعاني بشكل حاد من الصراعات العرقية والقبلية التي أضعفت وَحدتها، ابتداءً من الانقلاب الدموي الذي قاده حفيظ الله أمين (طاجيكي شيعي) ضد الرئيس الأسبق نور الدين محمد تره قي (بشتوني سني) مرورا بالانقلاب الذي قاده الدكتور نجيب الله (بشتوني سني) ضد بابراك كارمال برعاية المخابرات السوفيتية التي خططت لذلك الانقلاب بهدف تطمين الغالبية البشتونية في حزب الشعب الأفغاني الحاكم على وجه الخصوص، والمجتمع الأفغاني بشكل عام.

استجاب الدكتور نجيب الله تحت ضغط المتغيرات الدولية لمقترحات القيادة السوفيتية، وشرع مع بعض رفاقه في وضع خطة للإصلاح السياسي. وقد تعززت ثقته بنجاح هذه الخطة بعد الانتصار الكبير والأخير الذي حققه الجيش الأفغاني ضد أكبر هجوم قام به عدد من فصائل المجاهدين الأفغان والمجاهدين العرب في صيف عام ١٩٩١م على مدينة جلال اباد حيث استهدف المجاهدون من خلال ذلك الهجوم دخول مدينة جلال اباد الواقعة في شمال شرق كابول بهدف إسقاطها والتحرك بعد ذلك نحو قاعدة بجرام الجوية شمال كابول.. وقد تكبّد المجاهدون بعد فشل ذلك الهجوم خسائر ضخمة أعترفت بها تصريحات صحفية وأحاديث تلفزيونية لعدد من قياداتها ، كما أكد وقوع تلك الخسائر الأمير تُركي الفيصل الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات السعودية في حديث إلى قناة mbc الفضائية تم توثيقه في وقت لاحق، وأكدها أيضاً المهندس عبدالله آنس في مذكراته.

حاول الرئيس الأفغاني نجيب الله استثمار ذلك الانتصار لتحقيق برنامج للإصلاح السياسي من موقع المنتصر، يكون ضحاياه عدد من خصومه في الحزب الحاكم وعلى رأسهم الجنرال الأوزبكي عبدالرشيد دوستم بوصفه رئيس جهاز الاستخبارات المسؤول عن الجرائم التي ارتكبت بحق المعارضين والمجاهدين، بالإضافة إلى موقعه كقائد للقوات الخاصة التي اضطلعت بمهام دعم العمَليات الخاصة التي قامت بها قوات "الكوماندوز" السوفيتية ضد المجاهدين في جبال وقرى أفغانستان.

في هذا السياق بدأ الدكتور نجيب الله من خلف قيادة الحزب الحاكم وبالتنسيق مع عدد محدود من رفاقه البشتون في قيادة الحزب، بإجراء اتصالات سرية مع وسطاء باكستانيين من حزب الشعب الذي تترأسه السيدة بنازير بوتو، بهدف التفاهم مع المجاهدين على صيغة حل سياسي يحقق المصالحة والسلام ، من خلال تشكيل حكومة انتقالية موسعة تتم برعاية الأمم المتحدة وتستمر مدة سنتين، يعقبها استفتاء على دستور جديد للبلاد وانتخابات عامة يتم بموجبها ضمان حرية الصحافة على غرار التجربة الديمقراطية في باكستان.. وأبدى نجيب الله استعداده لإطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين، ومحاكمة كل الذين ارتكبوا جرائم بحق المعارضة، وكان يلمح بذلك إلى الجنرال عبدالرشيد دوستم.

اختلفت ردود فعل فصائل المجاهدين الأفغان إزاء تلك المبادرة التي عمقت الخلافات القديمة بين الفصائل الجهادية.. حيث انقسم المجاهدون الى ثلاثة أجنحة إزاءها. الجناح الأول و كان يمثله أمير الحرب قلب الدين حكمتيار رئيس الحزب الإسلامي المتطرف، الذي يتكون مقاتلوه من طائفة البشتون والمجاهدين العرب والباكستانيين.. حيث رفض حكمتيار بحزم أي شكل من أشكال المصالحة مع الحكومة الأفغانية والرئيس نجيب الله، وأصر على مواصلة (الجهاد) حتى إسقاط نجيب الله ومحاكمته مع جميع أعضاء الحكومة الأفغانية والحزب الحاكم بموجب الشريعة الإسلامية وإقامة دولة إسلامية تمهد لنظام الخلافة على مناهج النبوة بحسب تعبيره !!!.

أما الجناح الثاني فقد تمثل في عدد من القيادات الميدانية المعتدلة وعلى رأسها القائد عبدالحق ارسلاي (الذي أعدمته حركة طالبان بعد أن اعتقلته أثناء الحرب التي شنتها القوات الأميركية على نظام طالبان في شهر أكتوبر ٢٠٠١م) ، وسيد أحمد جيلاني ورشيد قرضاوي وحامد كرزاي وآخرون من البشتون، حيث أبدى هذا الجناح موافقة مشروطة على مشروع المصالحة والسلام واشترط أن يتحقق ذلك تحت رعاية الأمم المتحدة إلى جانب عودة الملك ظاهر شاه على رأس الحكومة الانتقالية، نظرا لإنعدام الثقة بحكومة نجيب الله، بالإضافة إلى أنّ هؤلاء القادة كانوا يصرحون علنا بأنّ أحزاب المجاهدين السبعة والمتناحرة لن تكون قادرة على تحقيق الوحدة والانسجام في حالة وصولها إلى الحكم ، فيما كان الجناح الثالث ممثلا بقيادات جبهات القتال في الأقاليم الشمالية وعلى رأسها القائد الطاجيكي أحمد شاه مسعود قد وافق من حيث المبدأ على إقامة حكومة ائتلافية تلتزم بالشريعة الإسلامية ويشارك فيها أشخاص مختارون من الحكومة الأفغانية بشرط إلغاء حزب الشعب الحاكم، واستقالة نجيب الله وعدم تطبيق الديمقراطية لأنها تخالف الشريعة الإسلامية!!!.

أدرك الجنرال عبدالرشيد دوستم خطورة توجهات نجيب الله على حياته الشخصية فسارع بحكم سيطرته على جهاز المخابرات والقوات الخاصة، وعَلاقاته القوية بقيادات سلاح الطيران والفرق العسكرية المرابطة في الأقاليم الشمالية، إلى تدبير انقلاب مفاجئ ضد نجيب الله الذي حاول بدوره الهروب الى الخارج عبر مطار العاصمة كابول، غير أن الجنرال عبدالرشيد دوستم تمكن من إرسال قوة محمولة جواً من قاعدة باجرام الجوية إلى مطار كابول بهدف إغلاقه، الأمر الذي اضطر الرئيس نجيب الله إلى العودة من المطار واللجوء إلى مقر الأمم المتحدة.

أعلن راديو كابول نبأ عزل نجيب الله في منتصف ابريل ١٩٩٢م وتعيين إدارة مؤقتة برئاسة وزير الخارجية عبدالوكيل أحمد، فيما كان مركز القوة والقيادة بيد الجنرال عبدالرشيد دوستم الذي أجرى اتصالات مع قادة فصائل المجاهدين في جبهات المناطق الشمالية التي ينحدر منها وعلى رأسهم أحمد شاه مسعود. وقد توجت تلك الاتصالات بعقد صفقة سياسية وعسكرية سرية، تركت آثارها على مسار الأحداث اللاحقة.. بيد أنّ حكمتيار أدرك الأبعاد الخطيرة لتلك الصفقة، على الرغم من أنّ أحمد شاه مسعود حاول بذكاء إخفاءها أثناء الاتصال اللاسلكي التاريخي الذي أجراه مع حكمتيار قبل يومين من سقوط العاصمة كابول على أيدي قوات أحمد شاه مسعود بالتنسيق مع الجنرال الشيوعي عبدالرشيد دوستم.

من الأمور المثيرة للتساؤلات ، أنّ حكمتيار كان يتحدث عبر اللاسلكي مع أحمد شاه مسعود، والى جانبه أستاذه ومرجعه الفقهي والسياسي، والمدافع العنيد عنه الشيخ قاضي صاحب، المعروف باسم (قاضي حسين أحمد) أمير الجماعة الإسلامية في باكستان، والذي أصبح فيما بعد مفتي المجازر الدموية في أفغانستان، وعرّاب ومخترع حركة (طالبان) ، وقائد ائتلاف الجماعات الباكستانية الأصولية المتشددة التي تعارض الرئيس بروز مشرف بسبب تعاونه مع الولايات المتحدة الأميركية والمجتمع الدولي في الحرب العالمية على الإرهاب عموماً ، وعلى طالبان وتنظيم القاعدة خصوصاً !!

ماذا جرى في ذلك الاتصال اللاسلكي ؟ ..هذا ما سيتناوله الجزء الثاني من هذا المقال في الاسبوع القادم بإذن الله .

نقلاً عن / صحيفة (26 سبتمبر)

اللجوء السياسي .. ضرورة أم ترف ؟

أحلام القبيلي
ALKBILY @ HOTMAIL . COM

سعى ويسعى الكثير للخروج من أوطانهم هرباً من الظلم والقهر والجور واللجوء إلى أوروبا وأمريكا بحثا عن الحرية والحياة الأفضل.

ولكن:

هل يعد هذا اللجوء ضرورة أم ترف ؟

وهل هناك حرية وحياة أفضل ؟

ترف :

اللجوء السياسي هو لجوء شخص يعيش في دولة ما مضطهداً سياسياً أو اجتماعياً .. أو .. أو .. فيأوي إلى دولة أخرى تقبله حسب قوانينها وللجوء السياسي تأصيل شرعي في الإسلام ، فقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الأوائل بالهجرة إلى الحبشة عندما اشتد بهم الأمر واستبان للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن الطريق في مكة باتت مسدودة رغم كل المحاولات وأنه غير قادر على حمايتهم فقال لهم :

(لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لايظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه).

وقد كان هذا اللجوء في المفهوم الديني عملية استنبات لأن أرض مكة لم تصلح في ذلك الوقت لينمو ويترعرع فيها الدين .

أما لجوء هذه الأيام والذي أصبح شبه (موضة) هو نوع من أنواع الترف وحركة سلبية هروبية يؤثر أصحابها السلامة والدعاة والاسترخاء وإيثار العافية يلجئون إليها رغم أنهم لازالوا قادرين على المواجهة والعطاء ويتمتعون بقدر كاف من الحرية بدليل أن بعضهم كان ضمن وفد رئاسي موقر .

وليتهم لجوءا إلى نظام عادل لا يظلم عنده أحد وليتهم نالوا الحرية والحياة الأفضل التي تعلقوا بأمل الحصول عليها فكانوا كالمتعلق بأمل من خيوط العناكب أو (كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه) فلا حرية ولا حياة أفضل لأن هذه الأنظمة التي تنادي بالحرية وتدعي أنهم رعاتها وحماتها ويسوقوها يقصرونها على أبناء جلدتهم فقط وكل من دار في فلكهم ورقص على مزمارهم .

هذه الأنظمة هي هي التي تنتهك حريات الآخرين في عقر دورهم وتكبل أوطانا بأسرها وتستعبد أخرى.

هذه الأنظمة هي التي زجت بآلاف البشر في السجون والمعتقلات لمجرد الشك بانتمائهم للقاعدة .

هذه الأنظمة التي تعتدي على كل من يخالفها الرأي في أي بقعة من الأرض وهذه الأنظمة هي التي ألقيت بسامي الحاج في المعتقل وحكمت علوني بالسجن بضع سنين واستدرجت شيخنا المؤيد وأوقعته في شباكها ظلما وزورا ، وخططت لتوجيه ضربة عسكرية لقناة الجزيرة وتحاصر سوريا وتنوي افتراس إيران .

هذه الأنظمة التي لا تحترم آراء شعوبها المناهضة للحرب والظلم والاعتداء والوحشية .

هذه الأنظمة لا تعطي حق اللجوء إلا لمن علمت واستيقنت أنها ستستفيد منهم في تحقيق مآربها وليكونوا مخالب قطط – علموا بذلك أم لم يعلموا .

إن اللاجئ إلى هذه الأنظمة لن يرى من الحرية إلا اذنها فهو حر في أن يأكل رغيف عيش وبصل أو بسباس أو حتى هامبورجر حر في أن ينام في الفندق او في الشارع ، حر في هتك إستار حكومة بلاده – حر في كتابة المقالات والإدلاء بأي تصريح شرط ألا تتعارض مع سياسة الدولة المضيفة .

« ويا غريب كن أديب »

إن اللاجئ إلى هذه الأنظمة سيلبس ثوب الحرية الذي ستفصله له على مقتضى هواها ومصلحتها.

إضاءة :

– عز القبيلي بلاده .. ولو تجرع وباها

– التغير الأفضل والأصوب والشرعي لا يأتي إلا من الداخل

كاتبة وشاعرة يمنية - تعز

هدية تراثية لامرأة عصرية

مشاري الذايدي

في هذا المقال، طواف بحارات التاريخ، وتجوال في دكاكين عطور التراث، اجمعها في «صرة» موشاة بعبق الماضي، وأهديها للمرأة العربية والمسلمة، بمناسبة يوم المرأة العالمي...

قال الأولون: التراث حمال أوجه.

في هذا التراث، تراث أكثر من ألف وثلاثمائة، عام شاملا الشعر والحكم وبعض الآراء الفقهية والسياسية، تجد صورا عن المرأة يستحيل أن تساعد الآن على فكرة «حقوق المرأة» الحديثة، بل هي ضدها وعليها، وتثبتها، أي المرأة، ضمن الإطار الاجتماعي القديم: بطنها وعاء وثديها سقاء.

ويصبح حدها، كما قال احد الشعراء القدماء منتقدا حرص بعض النساء على تعلم فن الكتابة:

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابة
هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة!

(بالمناسبة هناك طرفة شهيرة تروى عن رئيس احد البرلمانات العربية انه قال شيئا مشابها لهذا الكلام لإحدى النائبات في المجلس حينما طالبت بحقها في الحديث!)

والنساء، مخلوقات لوظيفة محددة، ونحن مجبرون على التعاطي مع هذا الكائن للحاجة، كما قال الشاعر الآخر:

إن النساء شياطين خلقن «لنا»
نعوذ بالله من شر الشياطين

ولاحظ استخدام: «لنا»! وهي «شيطانة» في صورة إنسان، ولا يعول عليها في رأي أو شأن جاد من شؤون الحياة، وتجد عشرات العبارات والمأثورات والحكايات التي تعزز، في خلاصتها النهائية، صورة محدودة ودورا فقيرا للمرأة في الحياة، فهي متعة لفراش زوجها، وأم لأطفالها، ومصلية صائمة، وربما جلبت ماء أو حصدت زرعا، وفقط.

لكن، مهلا!، فنفس هذا التراث الذي نجد فيه هذه الصور المعيقة لإمكانية أن تجد المرأة لها مكانا معنويا واعترافا ثقافيا بها، هو نفسه التراث الذي نجد فيه شذرات أخرى لا تمضي في هذا المسار المجحف في حق المرأة.

أشعار، وحكم، ومأثورات، وحكايات تقف موقفا ايجابيا، ضمن شروط عصرها.. بل ربما عصرنا أيضا! مع المرأة.

وهذا المفسر الكبير، الفخر الرازي (توفي سنة ٦٠٦ هجري) وهو احد علماء الشافعية يقول، كما ينقل عنه العلوي: «إن تستر المرأة فيه حرج لأن المرأة لا بد لها من مناولة الأشياء بيدها، والحاجة إلى كشف وجهها في الشهادة والمحاكمة والنكاح». (المستطرف الجديد ٣٨٤).

وهو نص لو قاله احد الكتاب اليوم، بنفس الصراحة، في إحدى الصحف المصرية، دعك من السعودية أو الكويتية، لقامت عليه الدنيا ولم تقعد. وسبب هذه الراحة التي يتحدث بها أمثال الرازي، أن الجو حينها لم يكون مشغولا بثنائيات مدمرة مثل: العلمانية والإسلامية، الأصالة والمعاصرة، الخصوصية والعولمة.... الخ.

وهذا الخطيب البغدادي (توفي ٤٣٦ هجري) ينقل في تاريخه عن الصحابي عبد الله بن عمر أن الرجال والنساء في عهد النبوة كانوا يتوضأون جميعا؛ أي مختلطين.

والشيخ الأزهري عبد الحليم أبو شقة يحدثنا في كتابه الكبير (تحرير المرأة في عصر الرسالة) عن صورة امرأة مسلمة ولكنها ليست سلبية أو مسلوبة الإرادة، ولا معزولة عن السياق العام، وجمال وقوة كتابه ومرافعته الطويلة، خصوصا مع العقلية النقلية، انه اشترط على نفسه الاستشهاد بنصوص القرآن والسنة الصحيحة والاجتهادات الفقهية المعروفة، وبعد قراءة كتابه بهدوء، تخرج من كتابه بنتائج مختلفة تماما عن الصورة البائسة التي يريد كثير من الأصوليين، ومعها الثقافة الاجتماعية السائدة في بعض البلدان العربية عن المرأة، وباسم الدين!

مثلا، تخرج من طرح الشيخ أبي شقة، بأن اختلاط المرأة بالحياة العامة شيء طبيعي في العهد النبوي، وأنه لم يكن من حجر على المرأة في غشيان الأسواق والشوارع والمنتديات العامة والمشاركة بالرأي، فمن أين أتانا المتوترون بمسلسل الرعب المسمى: الاختلاط!

وهنا، وسعوديا أتحدث، كم كان جميلا، على تأخره كثيرا، ما صنعه القائمون على معرض الرياض الدولي الأخير للكتاب، بإلغاء هذا العرف "الدخيل" حقا ! وهو عرف تخصيص يوم لتسوق النساء ويوم لتسوق الرجال، بينما هم مختلطون في المسجد الحرام نفسه منذ ما قبل الإسلام، وجاء الإسلام ولم يغير شيئا، وظل الأمر كذلك، بل اشتهر الشاعر الأموي الشهير عمر بن أبي ربيعة بكثرة ذكره للنساء الجميلات في جنبات الحرم، ولم يعرف أن السلطات أو الفقهاء قرروا الفصل بين النساء والرجال في الحرم من اجل غزليات عمر بن أبي ربيعة، وكانت الحادثة الوحيدة المعروفة هي من فعل والي مكة الظلوم الدموي خالد القسري، وكانا واليا للخليفة الإموي عبد الملك بن مروان، وسبب ذلك كما يذكر المسعودي في تاريخه "مروج الذهب" أن: "أن خالد القسري والي مكة زمن عبد الملك بن مروان سمع منشدا ينشد:

ياحبذا الموسم من موقف
وحبذا الكعبة من مسجد

وحبذا اللائي يزاحمننا
عند استلام الحجر الأسود

فقال القسري: أما إنهن لن يزاحمنك أبدا... وفرق بين الرجال والنساء في الطواف!

طبعا هذا الإجراء ليس كله لمزيد ورع وتقوى عند هذا الوالي، فهو من أكثر الولاة الأمويين، بالإضافة للحجاج طبعا، الذين ظلموا، وقيل فيه نقد كثير من قبل الفقهاء وعلماء الدين ،لكنه إجراء تعسفي ونفاقي . ومخالف لما كان يجري، منذ عهد الرسول إلى وقت القسري هذا نفسه !

هذا الدجل والتمثيل من خالد القسري هذا هو الذي يلوث التطور الطبيعي او يغتال عفوية الأشياء، كما صنع الخليفة العباسي القاهر بالله الذي يذكر عنه المؤرخ مسكوية في كتابه تجارب الأمم انه في سنة ٣٢١ للهجرة خرج أمر القاهر بتحريم القيان والخمر وسائر الأنبذة، وقبض على من عرف، وتم نفيهم، وكان القاهر–مع ذلك – مولعا بشرب الخمر، ولا يكاد يصحو من السكر، ويسمع الغناء، ويختار من جواري القيان ما يريد.(المتسطرف الجديد١٥).

وعلى عكس ما فعله الوالي القسري، نجد صورة أخرى، في نفس المكان، الحرم المكي، وفي نفس الزمن، العهد الاموي، حيث تحدث قصة اخرى ترويها لنا كتب التاريخ، ومنها شرح نهج البلاغة، ان الفقيه المعروف ابا حازم، سلمة بن دينار، كان يطوف بالكعبة فسمع امرأة حاجة ترفث في كلامها فقال: يا أمة الله، ألست حاجة؟! ألا تتقين الله!؟ فسفرت المرأة عن وجه صبيح، ثم قالت له أنا من اللواتي قال فيهن العرجي (الشاعر):

أماطت كساء الخز عن حر وجهها
وردت على الخدين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة
ولكن ليقتلن البريء المغفلا!

عندها قال أبو حازم: فأنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنا! فبلغ ذلك سعيد بن المسيب (من كبار العلماء في وقته) فقال: رحم الله أبا حازم، لو كان من عباد العراق لقال لها: اغربي يا عدوة الله، ولكنه ظرف نساك الحجاز!

هذا الظرف الذي تحدث عنه سعيد بن المسيب، وفعله الفقيه أبو حازم، هو ظرف يفتقده كثير من المتدينين اليوم.

ماذا نريد أن نقول من هذا كله؟!

لقد آثرت ترك الحديث عن واقع المرأة العربية اليوم، وتقصي حالتها الحقوقية وقياس مدى تقدمها في الحصول على حقوقها، القانونية والاجتماعية والسياسية والإعلامية والتعليمية، فهو حديث طويل، ومهم، وكتب فيه، وسيكتب، متخصصون ومتابعون في ذلك، كما أن المتابع لا يستطيع أن يصدر حكما واحدا على «المرأة العربية» في مسألة نيلها لحقوقها، فهناك تفاصيل واختلافات كثيرة، وتباين في وتائر التقدم والتخلف في هذه المجالات، فمثلا المرأة في مصر، حسبما يرى كثيرون، تخلت عن بعض حقوقها وتراجعت وضعيتها بالقياس للعهد الملكي أو حتى للعهد الناصري...

لكننا نجد نماذج أخرى، لمجتمعات ودول عربية، أتت بأشواط كثيرة خلف مصر، اعني دول الخليج تحديدا، لنرى وتائر أخرى للتقدم، بعضها مرضي وبعضها محبط، ولكن في المجمل هناك حركة، وربما لا يوافق البعض إذا ما قلت إنه: رغم حالة التشنج التي تصيب البعض إذا ما تم الحديث عن قضية المرأة في السعودية، وحالة الترهيب التي تمارس على من يتناول قضيتها، فأن وضع المرأة هناك يتقدم ولا يتخلف! بالقياس إلى معايير كثيرة، فها هي تعيد طرح نفسها وتقارع من يريد حبسها في الصورة النمطية القديمة، وها نحن نرى نساء سعوديات سيدات أعمال، ونرى مثقفات، وإعلاميات، وغير ذلك، ونرى محاولة حكومية لمجاراة التطور في المجتمع السعودي في موضوع المرأة حول مسائل مثل حماية المرأة من العنف، ومنحها حقها في العمل، صحيح أن بعض الخطوات حوربت وتعثرت مثل توظيف النساء في مجال بيع الملابس النسائية، ولكن هي حالة حراك وليست حالة جمود، ويجب ان نتوقع مقاومة ممن يرون انهم حماة الفضيلة «الموهومة» مستندين إلى إثارة هواجس قابعة في أعماق المجتمع الرجالي حول تقدم المرأة، هذا شيء طبيعي ومخاض متوقع لكن يجب التصميم، والتوعية، وتحرير الدين من التوظيف في قضايا «حمالة أوجه» بطبيعتها.

ولعل في الشذرات التراثية السالفة، بعض الدلالة على أننا نحن الذين نحدد: أي تراث نريد، وعليه نقرر أي مستقبل نمشي فيه...

مشوار طويل، ومتعب، ولكن لا بد من إنارة الطريق، ولو أزعج وهج الشمع من لا يحبه!

كاتب سعودي